المبحث الثامن

الإيجاز والإطناب والمساواة

القسم الأول : الإيجاز

تعريفه :

لغة : وجز : قلَّ في بلاغة ، وأوجزه : اختصره ، وأمر وجيز وكلام وجيز أي خفيف مقتصر . وأوجزت الكلام : قصّرته ، وأوجز القول والعطاء : قلله [1].

واصطلاحاً : «هو اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل» [2]. أو هو ، كما قال الرماني [3] : «تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى» ، ثم عقب عليه بقوله : «وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة ، ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة ، فالألفاظ القليلة إيجاز» .

وهكذا نرى تقارباً بين معنى الإيجاز في اللغة والاصطلاح .

أنواعه :

والإيجاز نوعان : إيجاز قصر ، وإيجاز حذف .

وقد عرف نوعا الإيجاز قبل الرماني (ت 386 هـ) إلا أنه هو الذي أعطى النوع الأول اسمه هذا [4] .

والفرق بين إيجاز القصر وإيجاز الحذف ، هو أن الإيجاز الأول يتم دون حذف شيء من الجمل ، في حين يكون العكس في الإيجاز الثاني .

---

(1) ابن منظور : لسان العرب : مادة : (وجز) .

(2) د. بدوي طبانة : معجم البلاغة العربية : مادة : (الإيجاز) .

(3) النكت في إعجاز القرآن : ضمن «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن» ص : 70 .

(4) د. عبد القادر حسين : أثر النحاة في البحث البلاغي : ص 245 .

إيجاز القصر

وفيه تكون الألفاظ مكثفة تحوي كثيراً من المعاني وظلال المعاني ، مع قلتها .

ومن أمثلة إيجاز القصر قولنا :

(*) «الصدق سيد الفضائل» .

فهذه الجملة تعني الصدق بأوسع معانيه بحيث يصير سيد الفضائل فإن لا تكذب في القول ، صدق . وأن لا تكون مع الناس ذا وجهين ، تظهر المودة وتبطن البغضاء ، صدق . وإن تساعد المحتاجين حباً بالمساعدة وبدافع إنساني ، لا تظاهراً ومباهاة ، صدق . وعدم بيعك بضاعة فاسدة على أنها سليمة ، صدق . وأداؤك واجبك بإخلاص ودون تبذير في الوقت وإضاعة للفرص ، صدق . إلى غير ذلك مما ينضوي تحت هذه الكلمة .

أليس - بعد ذلك - الصدق سيد الفضائل ؟

وهكذا عبَّرت هذه الجملة القصيرة عن معان كثيرة .

ومن أمثلة إيجاز القصر :

(*) قوله تعالى في وصف الجنة : ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: 71] .

(*) قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: 179] .

(*) قول الرسول ﷺ : «الدين المعاملة» .

(*) قول الرسول ﷺ : «النظافة من الإيمان» .

(*) سيد القوم خادمهم .

(*) الحياة كفاح .

ومن طريف ما قام به «الرماني» [1] مقارنته قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ المار ذكره (جملة معناه : أن معرفة الناس أن من يقتل يقتل ، يجعل الناس يكفون عن القتل فتوهب لهم بذلك الحياة) بقول آخر يقاربه في المعنى ، عرفته العرب ، وهو «القتل أنفى للقتل» والاثنان من إيجاز القصر ، مبيناً الوجوه التي

---

(1) النكت في إعجاز القرآن : ص 71 .

تفضل بها الآية الكريمة القول المذكور . قال : «وذلك يظهر من أربعة أوجه : أنه أكثر في الفائدة ، وأوجز في العبارة وأبعد من الكلفة بتكرير الجملة ، وأحسن تأليفاً بالحروف المتلائمة . أما الكثرة في الفائدة فيه ففيه كل ما في قولهم : «القتل أنفى للقتل» ، وزيادة معان حسنة ، منها : إبانة العدل لذكره القصاص ، ومنها إبانة الغرض المرغوب فيه لذكره الحياة . ومنها الاستدعاء بالرغبة والرهبة لحكم الله به . وأما الإيجاز في العبارة فإن الذي هو نظير «القتل أنفى للقتل» قوله : «القصاص حياة» ، والأول أربعة عشر حرفاً والثاني عشرة أحرف . وأما بعده من الكلفة بالتكرير الذي فيه على النفس مشقة فإن في قولهم : «القتل أنفى للقتل» تكريراً غيره أبلغ منه ، ومتى كان التكرير كذلك فهو مقصر في باب البلاغة عن أعلى طبقة ، وأما الحسن بتأليف الحروف المتلائمة فهو مدرك بالحس وموجود في اللفظ : فإن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعد الهمزة من اللام ، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام ، فباجتماع هذه الأمور التي ذكرناها صار أبلغ منه وإن كان الأول [القتل ...] بليغاً حسناً» .

إيجاز الحذف

وفي هذا الإيجاز يكون المحذوف حرفاً ، أو كلمة ، أو جملة ، أو أكثر من جملة .

(أ) حذف الحرف : مثل حذف «النون» في :

(*) قوله تعالى : ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [التوبة: 74] .

(*) وفي قول الشاعر :

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مراً به الماء الزلالا

(ب) حذف المفرد (الكلمة) : ويكون على أنواع ، هي :

1- حذف الفعل . مثل :

(*) الفضيلة .

أي : الزم الفضيلة ، أو أطلب الفضيلة . وقد حذف الفعل .

(*) الفضيلة الفضيلة .

والمقصود كما في المثال السابق ، و «الفضيلة» الثانية توكيد لفظي .

(*) الكسل .

أي : احذر الكسل ، أو تجنب الكسل . وقد حذف الفعل .

(*) الكسل الكسل .

2- **حذف الفاعل . مثل :**

(*) قولك لمن أحسن إليك : كثَّر خيرك .

والمقصود - طبعاً - كثر الله خيرك . وقد حذفنا الفاعل .

(*) قول حاتم الطائي :

أماوي مـــا يغني الثراء عـــن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر[1]

ويقصد الشاعر : إذا حشرجت النفس عند الموت . ولم يذكر الفاعل الذي هو النفس .

(*) ومما نقول : «إذا انتهت فلا راد للموت» .

ونحن نقصد : إذا انتهت الحياة (بالنسبة لإنسان ما) فلا راد للموت . وقد حذفت (الحياة) التي هي الفاعل .

3- **حذف المفعول به . وقد مر بنا في «أحوال متعلقات الفعل» .**

4- **حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه . مثل :**

(*) قوله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ [يوسف: 82] .

والمضاف المحذوف هو «أهل» : أي : أهل القرية .

(*) سأل طالب آخر : من يتسلم أوراقي ؟

فأجابه : التسجيل .

أي : موظفو التسجيل . و «موظفو» هو المضاف المحذوف .

(*) ونقول في حياتنا اليومية :

سافر محمد بالمنشأة .

ونقصد : سافر محمد بحافلات المنشأة (العامة لنقل المسافرين) . و «حافلات» هي المضاف المحذوف .

---

(1) حشرجت : ضاق سبيلها .

5- **حذف المضاف إليه وإقامة المضاف مقامه . مثل :**

(*) قوله تعالى : ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعراف: 142] .

أي : بعشر ليال . و «ليال» هي المضاف إليه المحذوف . قال ابن الأثير:[1] «أما حذف المضاف إليه فإنه قليل الاستعمال . فمما جاء منه قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: 4] . أي : من قبل ذلك ومن بعده .

وربما أدخل في هذا الباب ما ليس منه كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: 45] قيل : أراد ظهر الأرض ، فحذف المضاف إليه . وليس كذلك . فإن الهاء والألف ، قائمة مقام الأرض . ألا ترى أن قوله «ظهرها» يريد به الأرض ، لأنه ضمير راجع إليها» .

6- **حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه . مثل :**

(*) تبارز الشجعان مبارزة رائعة . والموصوف المحذوف هو «الرجال» ، إذ أصل الكلام : تبارز الرجال الشجعان .

(*) تنزهت الحسناوات في الغابة .

وأصل الكلام : النساء الحسناوات .

(*) ذهب فلان إلى الصناعية .

وأصل الكلام : ذهب ... المنطقة الصناعية أو : المدينة الصناعية .

7- **حذف الصفة وإقامة الموصوف مقامها . مثل :**

(*) قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: 1] والصفة المحذوفة هي : كثيرات ، أي : ونساء كثيرات .

---

(1) المثل السائر : 310/2 .

(*) فتشت عن الكتب الجديدة في اختصاصي واشتريت كل كتاب . أي : كل كتاب جديد .

8- **حذف فعل الشرط . مثل :**

(*) استمر في جدك وإلا تفشل .

وفعل الشرط المحذوف هو : تستمر ، بعد إلا .

(*) من احترمك فاحترمه ومن لا فدعه .

وفعل الشرط المحذوف هو : يحترمك ، بعد لا .

9- **حذف جواب الشرط . مثل :**

(*) الإنسان محبوب إن تمسك بالاستقامة .

وفعل الشرط ، هنا : تمسك ، وجواب الشرط محذوف لأنه سبقه ما يدل عليه .

(*) قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ [الزمر: 73] : يقول الرماني [1] : «كأنه قيل [بعد أن فتحت أبوابها] : حصلوا على النعيم الذي لا يشوبه التنغيص والتكدير» .

وعلل الرماني بلاغة الحذف هنا ، بقوله : «وإنما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب فيه كل مذهب ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان» .

10- **حذف القسم . مثل :**

(*) لأساعدن المحتاجين على الدوام .

أي : والله أو وربك مثلاً ، لأساعدن المحتاجين ...

(*) لأبذلن جهدي في خدمة الوطن .

11- **حذف جواب القسم . مثل :**

(*) قوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا * وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا * وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا * فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا * فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا * يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾ [النازعات: 7 - 1] .

وجواب القسم المحذوف هو : لتبعثن أو لتحشرن ، مثلاً :

---

(1) النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) : ص 70 .

(*) قوله تعالى : ﴿وَٱلْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ * وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ [الفجر: 7 - 1]

والمحذوف هو : لتعذبن ، مثلاً .

وهناك مواضع أخر يتم فيها الحذف [1].

(ج) حذف الجملة . مثل :

(*) قال المدرب للاعب : اقفز ، فكانت قفزة رائعة .

والجملة المحذوفة هي : فقفز اللاعب .

(*) قال والد لولده : ساعد أخاك في عمله ، فقضيا العمل بسرعة .

والجملة المحذوفة هي : فساعده .

(د) حذف أكثر من جملة واحدة . مثل :

(*) قول سليمان عليه السلام للهدهد حين أرسله إلى بلقيس ، كما ورد في القرآن الكريم : ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ * ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ * قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 29 - 27] .

والجمل المحذوفة هنا ، هي : فأخذ الهدهد الكتاب وذهب به إلى بلقيس ، فلما ألقاه إليها وقرأته ..

(*) اتفق جماعة من الصحاب على الذهاب إلى نزهة ، وعادوا منها في غاية السرور .

والجمل المحذوفة هنا ، هي : فذهبوا وقضوا وقتاً طيباً استمعوا فيه ...

---

(1) انظر : ابن الأثير : المثل السائر : 320/2 وما بعدها .

القسم الثاني : الإطناب

تعريفه :

لغة : أطنب في الكلام أبعد فيه [1].

اصطلاحاً : زيادة اللفظ على المعنى لفائدة [2].

وهو أنواع هي :

1- الإيضاح بعد الإبهام . ويأتي لأحد الأمور الآتية :

(أ) تمكين المعنى في النفس . مثل :

(*) قول راجي الراعي : «اليوم ، بيت شعر في ملحمة الخالق ، صدره ما سبق الظهيرة ، وعجزه ما تلاها . والغروب هو القافية» .

فلو قال : «اليوم ، بيت شعر في ملحمة الخالق» وسكت لكان الكلام مبهماً غير متمكن في النفس ، ولكنه عندما استمر في كلامه أوضح المبهم ومكنه في النفس .

(ب) التشويق . مثل :

(*) قول القائل : «تمتعنا في الليلة البارحة» .

فلو سكت المتكلم عند هذا الحد لبقي الكلام في حاجة إلى إيضاح يظل السامع متشوقاً إليه . فإذا أكمل قائلاً : «زارنا وليد وحدثنا عن قراءاته المتنوعة وسفراته إلى بلدان مختلفة» ، كان الإيضاح بعد الإبهام .

(ج) التعظيم . مثل :

(*) احتشد الجنود ثم اصطفوا في غاية النظام والاهتمام تحية للقائد المنتصر.

و «تحية للقائد المنتصر» إيضاح التعظيم لما فعل الجنود ، وكان غير واضح.

ومنه التوشيع . و«اشتقاقه من توشيع الشجرة ، وهو تفريع أصلها» [3].

وفي الاصطلاح : «أن يأتي المتكلم بمثنى يفسره بمعطوف ومعطوف عليه» .

---

(1) ابن منظور : لسان العرب : مادة : (طنب) .

(2) ابن الأثير : المثل السائر : 351/2 .

(3) يحيى بن حمزة العلوي : الطراز : 89/3 .

وذلك من أجل أن التثنية أصلها العطف ، فيوشع الاسم بما يدل على معناه ، ويرشد إليه ، على جهة العطف . ومثاله :

(*) قوله عليه السلام : «يكبر ابن آدم ويشب ومعه خصلتان : الحرص وطول الأمل» [1].

فالمثنى المفسر بمعطوف ومعطوف عليه هو : «خصلتان» والمعطوف والمعطوف عليه المفسران هما : الحرص وطول الأمل .

(*) قوله عليه السلام : «منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب مال» .

والمثنى : منهومان (لا يشبعان) ، والمعطوف والمعطوف عليه : طالب علم وطالب مال .

ومن أمثلة التوشيع :

(*) قول جبران خليل جبران : «للرجل العظيم قلبان : قلب يتألم وقلب يتأمل» .

(*) وقول من يقول : «سعدت بلذتين : لقاء صديقي الذي لم أره منذ زمن، وحديثه الطلي» .

ومن طريف ما جاء في هذا الباب قول ابن الرومي في مدح عبد الله بن سليمان بن وهب :

إذا أبو قاسم جادت لنا يده ... لم يحمد الأجودان : البحر والمطر
وإن أضاءت لنا أنوار غرته ... تضاءل النيران : الشمس والقمر
وإن نضا حده أو سل عزمته ... تأخر الماضيان : السيف والقدر
من لم يبت حذراً من سطو سطوته ... لم يدر ما المزعجان : الخوف والحذر
ينال بالظن ما يعيا العيان به ... والشاهدان عليه : العين والأثر [2]

2- ذكر الخاص بعد العام ، وعكسه :

(أ) ذكر الخاص بعد العام :

---

(1) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

وهو أن تذكر شيئاً (وهو العام) يضم أشياء من ضمنها شيء يذكر بعده (وهو الخاص) . وبذلك يكون قد ذكر الخاص مرتين ، مرة ضمن العام مرة صريحاً . ويكون ذلك لشدة العناية بالخاص . مثل :

(*) زرت مصر والقاهرة .

والخاص هو : القاهرة ، الذي ذكر ضمن مصر ، فصريحاً .

والعام هو : مصر ، التي تضم ، مع ما تضم ، القاهرة .

(*) قوله تعالى : ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن: 68] والخاص هو : نخل ورمان . والعام هو : فاكهة .

(ب) ذكر العام بعد الخاص . وهنا نذكر الخاص أولاً ، فالعام . ويكون ذلك ، أيضاً لشدة العناية بالخاص . مثل :

(*) قرأت الأدب العباسي والأدب العربي القديم . والعام هو : الأدب العربي القديم ، الذي يضم مع ما يضم ، الأدب العباسي .

والخاص : هو الأدب العباسي .

(*) قوله تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [البقرة: 266] والعام هو : الثمرات ، والخاص : نخيل وأعناب .

قال الزمخشري [1] عن قوله تعالى الأخير : «فإن قلت : كيف قال : جنة من نخيل وأعناب ، ثم قال : له فيها من كل الثمرات ؟ قلت : النخيل والأعناب لما كانا من أكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما بالذكر ، وجعل الجنة منهما ، وإن كانت محتوية على سائر الأشجار ، تغليباً لهما على غيرهما ، ثم أردفهما ذكر كل الثمرات» .

وقال ابن المنير [2] عن قوله تعالى هذا وعن قوله الأسبق ، (فيها فاكهة ونخل ورمان) ، الذى ورد فى «ذكر الخاص بعد العام» : «هذا من باب تثنية

---

(1) الكشاف : 1 / 395 .

(2) الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال : بهامش «الكشاف» 1 / 395 .

ذكر ما يقع الاهتمام به مرتين ، عموماً وخصوصاً . ومثله : «فيها فاكهة ونخل ورمان» . إلا أنه فى تلك الآية بدأ بالتعميم ، وفى هذه الآية بدأ بالتخصيص . والمقصود هو ما نبهنا عليه» .

3- **التكرير** : وهو دلالة اللفظ على المعنى مردداً [1] . أي أن يردد اللفظ فى الكلام أكثر من مرة . ويكون ذلك لغرض من الأغراض الآتية :

(أ) تمكين المعنى فى النفس مثل :

(*) الجد أساس النجاح إذ لولا الجد لما نال الإنسان ما يريد .

ونلاحظ تكرير لفظ «الجد» ليرسخ فى ذهن السامع أن «الجد» أساس النجاح وبه ينال الإنسان ما يريد . ولولا هذه الغاية لما كرره المتكلم ولأشار إليه فى المرة الثانية بالضمير .

(*) قول الرسول ﷺ: «أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك» جواباً لمن سأله : من أبر ؟.

فرغم أن الرسول الكريم قدم الأم على الأب ، لأنها يجب أن تفضل فى العناية ، لما تتحمله فى سبيل أبنائها من حمل ووضع ورضاعة وتربية ورعاية ، إذ «للأب قلب واحد وللأم قلبان» كما يقول ميخائيل نعيمة ، عاد وكرر لفظ الأم ، لتمكين المعنى فى النفس .

(ب) التلذذ . مثل :

(*) قول الشاعر ، وهو يكرر لفظ (ليلى) :

ألست وعدتني يا قلب أني متى ما تبت عن ليلى تتوب ؟
فهأنا تائب عن حب ليلى فما لك كلما ذكرت تذوب ؟!

(*) قول الشاعر ، مكرراً اسم «هند» :

ألا حبذا هند وارض بها هند وهند أتى من دونها النأى والبعد

(ج) دفع النسيان أول الكلام حين يطول الكلام . مثل :

---

(1) ابن الأثير : المثل السائر : 3/3 .

(*) قوله تعالى ، مكرراً «لا تحسبن» : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [آل عمران: 188].

(*) قول القائل : «أقول لكم ـ وأنا أعرف أنكم تعرفون ـ إن الدفاع عن الوطن شرف ـ يجب أن يسعى إليه كل مواطن ، فحب الوطن من الإيمان ، كما قال الرسول ﷺ . أقول لكم : إن الدفاع عن الوطن أمر يجب أن نتفانى فيه فى كل مجال» .

فنلاحظ أن القائل كرر «أقول لكم» وقالها مرة ثانية ، عندما طال الكلام .

(د) التأكيد . مثل :

(*) قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر: 3-4] .

(*) أعدك بالمجئ فى الوقت المحدد ، أعدك بالمجئ فى الوقت المحدد .

(هـ) التعظيم . مثل :

(*) قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: 1- 2] .

ويبدو التعظيم صريحاً فى قوله بعدئذ : ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ .

(*) محمد هو الرجل الرجل .

(و) الوعيد . مثل :

(*) قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر: 3-4] .

(*) قول والد لولده ، وقد عمل السوء : «استمر في عملك هذا استمر» .

(ز) الترغيب فى قول النصح . مثل :

(*) قول أخ لأخيه الصغير : «يا أخي الثقافة ضرورية لكل إنسان ، فيا أخي عليك بالاطلاع» .

(*) قول من يخاطب أحد خصمين ليدعوه إلى المصالحة مع خصمه ومسامحته : «أنت إنسان عاقل تتفهم الأمور ، وقلبك كبير ، وأنت إنسان عاقل تعرف أن الأمور التافهة يجب أن لا تعطى أهمية كبيرة» .

(ح) التحسر والتفجع . مثل :

(*) قول الشاعر راثياً من اسمه «سائب» :

طلبت فلم أدرك بوجهي وليتني ... قعدت فلم أبغ الندى بعد «سائب»

ولو لجأ العافي إلى رحل «سائب» ... ثوى غير قال أو غداً غير خائب [1]

(*) قول الشاعر هشام بن عقبة : [2]

تعزيت عن «أوفى» بغيلان بعده ... عزاء وجفن العين ملآن مترع

نعى الركب «أوفى» حين آبت ركابهم ... لعمري لقد جاءوا بشر فأوجعوا

نعوا باسق الأفعال لا يخلفونه ... تكاد الجبال الشم منه تصدع

خوى المسجد المعمور بعد ابن دلهم ... وأمس بـ « أوفى» قومه قد تضعضعوا

فلم تنسني «أوفى» المصيبات بعده ... ولكن تلك القرح بالقرح أوجع [3]

والمكرر فى المثال الأول ، كما هو واضح ، «سائب» وفي الثانى «أوفى».

4- **التكميل** : ويسمى «الاحتراس» أيضاً . «وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه» [4] .

ويجعله القزويني [5] ضربين : ضرب يتوسط الكلام . ويمثل له ، مع ما يمثل ، بقوله طرفة :

فسقى ديارك ، غير مفسدها ... صوب الربيع وديمة تهمي [6]

وضرب آخر يقع في آخر الكلام . ويمثل له بقوله تعالى : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: 54] .

---

(1) العافي : طالب المعروف . ثوى بالمكان : أقام فيه . القالي : المبغض .

(2) والشاعر أخو ذي الرمة ، غيلان بن عقبة .

(3) مترع : ملآن . باسق : عال . الشم : المرتفعة . تصدع : أصلها : تتصدع أي تتشقق . القرح : الجرح .

(4) القزوينى : الإيضاح : 1 / 202 .

(5) المصدر نفسه : 1 /203 .

(6) صوب الربيع : أي صوب المطر ـ الذي يسببه الربيع ـ ومعناه انصبابه ونزوله . الديمة : المطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق . تهمي : تسيل ، لا يثنيها عن السيلان شيء .

والتكميل في المثال الأول كما هو واضح في «غير مفسدها» . فإن الشاعر حين دعا بالسقيا ، سقيا الغيث ، ذكر هذا التكميل محترساً بأن هذه السقيا لا تكون بصورة تؤدي إلى خراب هذه الديار .

والتكميل ، في المثال الثاني ، في قوله تعالى : ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي أن هؤلاء القوم الذين سوف يأتي الله بهم ويحبهم ويحبونه ، والذين هم أذلة على المؤمنين ، هم أذلة على المؤمنين لتواضعهم ، لا لضعفهم ، فهم أقوياء إذ هم «أعزة» - جمع عزيز ، وهو القوي - على الكافرين .

ومن أمثلة التكميل قول محمد رضا الشبيبي :

حكم الناس على الناس بما سمعوا عنهم وغضوا الأعينا

فاستحالت ، وأنا من بعضهم أذني عيناً وعيني أذناً

والتكميل فى : «أنا من بعضهم» لكيلا يظن السامع أنه يبرئ نفسه من ذلك .

5- **الإيغال** : وأصله ، كما يقول أبو هلال العسكري [1] : من قولهم : «أوغل في الأمر إذا أبعد الذهاب فيه» .

وقال عنه أيضاً : «هو أن تستوفي معنى الكلام ، قبل البلوغ إلى مقطعه (أي قافيته أو آخره) ثم تأتي بالمقطع فتزيد معنى آخر يزيد به وضوحاً وشرحاً وتوكيداً وحسناً» [2] .

وقال عنه قدامة بن جعفر [3] : «ومن أنواع ائتلاف القافية مع سائر البيت : الإيغال» .

وقال بعض البلاغيين أنه مختص بالشعر ، دون النار ، ولكن آخرين يرونه لا يختص بالشعر [4] .

ومثل له قدامة بقول امرئ القيس :

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب [5]

---

(1) الصناعتين : ص 395

(2) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

(3) نقد الشعر : ص 192

(4) د . بدوي طبانة : معجم البلاغة العربية : مادة (الإيغال) .

(5) الخباء : الخيمة . الأرحل : جمل رحل : والرحل : ما يوضع على ظهر البعير كالسرج . الجزع : خرز فيه سواد وبياض ، واحدته : جزعة .

وعقب عليه قائلاً : «فقد أتى امرؤ القيس على التشبيه كاملاً قبل القافية ، وذلك أن عيون الوحش [وهي ميتة] شبيهة بالجزع ، ثم لما جاءت القافية أوغل بها في الوصف ووكده ، وهو قوله : الذي لم يثقب . فإن عيون الوحش غير مثقبة ، وهي بالجزع الذي لم يثقب أدخل في التشبيه» [1] .

ومثال آخر .

قال زهير بن أبي سلمى :

كأن فتات العهن في كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم [2]

وعقب عليه قدامة [3] بقوله : «فقد أتى على الوصف قبل القافية ، لكن حب الفنا إذا كسر كان مكسره غير أحمر ، فاستظهر في القافية لما أن جاء بها بأن قال : لم يحطم . فكأنه وكد التشبيه بإيغاله في هذ المعنى» .

ومثل أبو هلال العسكري [4] للإيغال في النثر بما كتب بعض الكتاب وهو : «نبو [5] الطرف من الوزير دليل على تغير الحال عنده ، ولا صبر على الجفاء ممن عوّد الله منه البر . وقد استدللت بإزالة الوزير إياي عن المحل الذي يحلنيه بتطوله على ماسوأت له ظناً بنفسي ، وما أخاف عتباً لأني لم أجن ذنباً ، فإن رأى الوزير أن يقومني لنفسي ، ويدلني على ما يريد مني ، فعل» .

وعلق عليه أبو هلال بقوله : «فتم كلامه عند قوله «يقومني» ، ثم جاء بالمقطع وهو قوله «لنفسي» فزاد معنى» .

ومما مثلو له بالنثر أيضاً : قوله تعالى : ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ * ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس: 20- 21] .

---

(1) نقد الشعر : ص 193 .

(2) الفتات : ما تفتت من الشيء . العهن : الصوف الأحمر . الفنا : جمع فناء ، والفناء : هو عنب الثعلب ، وهو حب تنبته الأرض أحمر اللون الخارجي .

(3) نقد الشعر : الصفحة نفسها .

(4) الصناعتين : ص 396 .

(5) النبو : الجفاء .

(فقوله «وهم مهتدون» مما يتم المعنى بدونه ، لأن الرسول مهتد لا محالة ، إلا أنه منه زيادة حث على الاتباع ، وترغيب في الرسل) [1] .

6- التتميم :

وهو في اللغة ، جعل الشيء تاماً .

أما في الاصطلاح فقد عرفه قدامة بن جعفر [2] بقوله : «وهو أن يذكر الشاعر المعنى ، فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته ، وتكمل معها جودته شيئاً إلا أتى به» .

بعبارة أخرى أن يؤتى بالمعنى «تاماً» من حيث صحته وجودته . مثل :

(*) قول زهير بن أبي سلمى :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى عن الناس ، تعلم [3]

والتتميم : في قوله : «وإن خالها تخفى عن الناس» .

والقول بلا تتميم : ومهما تكن عند امرئ من خليفة تعلم ، ولكنه تمم بقوله : وإن خالها ...

(*) قول عنترة :

وإذا الجبان نهاك يوم كريهة خوفاً عليك من ازدحام الجحفل [4]

فأعص مقالته ولا تحفل به وأقدم إذا حق اللقا في الأول

والتتميم هنا : خوفاً عليك من ازدحام الجحفل .

7- **الاعتراض** : هو «كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو سقط لبقي الأول على حاله» [5] .

ويأتي للأغراض الآتية :

(أ) التنزيه . مثل :

---

(1) د . بدوي طبانة : المصدر نفسه ، المادة نفسها .

(2) نقد الشعر : ص 144 .

(3) الخليقة : الطبيعة (الإنسانية) . خال : ظن .

(4) الجحفل : الجيش الكبير .

(5) ابن الأثير : المثل السائر : 40/3 .

(*) قول الشاعر :

أأسحب أذيال الوفـــاء ولم يكـــن – وحاشاك من فعل الدنية – وافياً

(*) خاطب رئيس مرؤسيه بقوله : هلا انتبه المرتشون – وآمل أن لا يكـون بينكم منهم – إلى عدم التفريط بحقوق الناس وعدم إفساد الذمم .

(ب) التعظيم . مثل :

(*) نزل علي– وهو من هو – إلى ساحة القتال فأبلى بلاءً حسناً .

(*) نشر رشاد– صاحب القلم الذهبي– مقالة رائعة .

(ج) الدعاء . مثل :

(*) نجح ولدي – وفق الله الجميع – بتفوق .

(*) أحسن أحمد – أحسن الله إلى كل محسن – ببناء مستوصف في حيه .

(د) التحسر : مثل :

(*) قول الشريف الرضي :

ولقد مررت عـــلى ديارهم وطلولها بيـــــد البلى نهـب
فوقفت حتى ضج من لغب نضوي ولج بعذلي الركب [1]
وتلفتت عيني فمـــذ خفيت عني الطلـــول تلفت القلب

(*) قول الشاعر :

ذهب الشباب – وما له من عودة – وأتى المشيب فأين منه المهـــرب ؟!

(*) الاستعطاف . مثل :

(*) قول أبي القاسم الشابي في قصيدته «إرادة الحياة» :

وقالت لى الأرض لمـــا سألت – يا أم – هل تكرهين البشر ؟
أبارك في الناس أهـــل الطموح ومن يستلذ ركـــوب الخـــطر
وألعن من لا يمـــاشي الزمان ويقنـــع بالعيش عيش الحـــفر

وطبعاً الاعتراض هو ب «يا أم» .

(*) قول آخر :

لا تســـل عن حال أرباب الهـــوى – يابن ودي – ما لذاك الحال شرح

---

(1) اللغب : التعب . النضو : البعير المهزول .

(8) **التذييل** :

وهو مأخوذ من الذيل .

«وهو أن يذيل المتكلم كلامه بجملة يتحقق فيها ما قبلها من الكلام» [1] .

وهو نوعان : نوع يجرى مجرى المثل ، ونوع لا يجرى مجرى المثل .

(أ) ما يجري مجرى المثل : «وهو إخراج المتكلم الكلام مخرج المثل ليتخصص به ماقبله مما تضمن زيادة فى المعنى» [2] وإخراجه مخرج المثل يتحقق بعزلة عما قبله والتمثل به ، لأنه على تعلقه بما قبله يملك استقلاليه عنه . مثل ما في :

(*) قول المتنبى :

ذريتي أنل ما لا ينال من العلى فصعب العلى بالصعب والسهل بالسهل

تريدين لقيان المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من إبر النحل

فقوله : «ولا بد دون الشهد من إبر النحل» تذييل يجري مجرى المثل إذ نستطيع ، أن نستقطعه ونتمثل به ، كمثل من الأمثال .

(*) قول كعب بن زهير :

فلا يغرنك ما منت وما وعدت إن الأماني والأحلام تضليل

وعجز البيت هو التذييل الجاري مجرى المثل .

(ب) ما لا يجري مجرى المثل . وهو ملا يتوفر فيه ما توفر بالجاري مجرى المثل من القدرة على التمثل به فى أحوال غير الحال التي قيل فيها لفقدانه الأستقلالية عما قبله . مثل ما في :

(*) قول الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

فعجز البيت تذييل ولكنه لا يجري مجرى المثل .

(*) قول الرصافي :

سبحان من جعل العوالم أنجما يسبحن عرضاً في البلاد وطولاً

وكذلك الأمر مع عجز هذا البيت .

---

(1) ابن الأثير الحلبى : جوهر الكنز : ص 244 .

(2) المصدر نفسه . الصفحة نفسها .

القسم الثالث : المساواة

وهي تكون عندما لا يكون في الكلام إيجاز أو إطناب وقد أخرنا الحديث عنها وجعلناها بعد الإيجاز والإطناب لنعرفهما فإذا عرفناهما استطعنا معرفتها .

قال عنها قدامة بن جعفر [1] «وهي أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه» .

وقال : «وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتاب رجلاً فقال : «كانت ألفاظها قوالب معانيه» . أي هي مساوية لها لا يفضل أحدهما على الآخر» [2] .

ومن أمثلتها :

(*) قول زهير :

إذا أنت لم تقصر عن الجهل والخنا أصبت حليمًا أو أصابك جاهل

(*) قول طرفة بن العبد :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى لكالطول المرخى وثنياه باليد

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود [3]

(*) العلم في الصغر كالنقش على الحجر .

(*) آفة العلم النسيان .

(*) زر غباً تزدد حباً .

---

(1) نقد الشعر : ص 153 .

(2) المصدر نفسه . الصفحة نفسها .

(3) المصدر نفسه : ص 172 ، 173 . والطول : الحبل الطويل تشد به قائمة الدابة . ثنياه : طرفاه .

القسم الرابع : بلاغة الإيجاز والإطناب والمساواة

يقولون : إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب ! وقال الحسن بن هانئ :

مت بداء الصمت خير ... لك من داء الكلام
إنما السالم من ألـ ... جم فاه بلجام

أحقاً ذلك ؟ أحقاً أن الصمت خير من الكلام ؟

نعم . أحياناً ، حين يكون الكلام في غير موضعه . والكلمة التي تخرج من الفم لا تصبح ملك صاحبها ، فإذا أراد استرجاعها لا يستطيع ، ولهذا فعلى الإنسان أن يعرف متى يتكلم ، وكيف يتكلم .

وقد عرفنا أن : لكل مقام مقال . وإن البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال [1] وهكذا تتحدد طبيعة الكلام .

وحديثنا عن الإيجاز والإطناب والمساواة . وإذن فلكل من هذه الأساليب الثلاثة موضع يحسن فيه ، ولا يحسن فيه غيره .

وإذا كان الإيجاز بأبسط تعاريفه هو ذكر معان كثيرة في ألفاظ قليلة ، فهو ذو فضل كبير ، لأنك إذا استطعت أن تعبر عما في نفسك وتفهم السامع قصدك بصورة تامة جميلة ، وبألفاظ قليلة ، يكون الإكثار من الكلام فضولاً وإثقالاً على المخاطب وإملالاً له . ولهذا فضل العرب الإيجاز ، وقد مرت بنا بعض أقوالهم فيه .

هذا وقد قال ابن سنان الخفاجي [2] : «الأصل في مدح الإيجاز والاختصار في الكلام أن الألفاظ غير مقصودة في أنفسها ، وإنما المقصود هو المعاني والأغراض التي احتيج إلى العبارة عنها بالكلام ، فصار اللفظ بمنزلة الطريق إلى المعاني التي هي المقصودة . وإذا كان طريقان يوصل كل منهما إلى المقصود على

---

(1) مع فصاحته ، طبعاً .

(2) سر الفصاحة : ص 206 .

سواء في السهولة ، إلا أن أحدهما أخصر وأقرب من الآخر ، فلا بد أن يكون المحمود منها هو أخصرهما وأقربهما سلوكاً إلى المقصد ، فإن تقارب اللفظان في الإيجاز ، وكان أحدهما أشد إيضاحاً للمعنى ، كان بمنزلة تساوي الطريقين في القرب وزيادة أحدهما بالسهولة» .

وإذا كانت هذه فضيلة الإيجاز فهذا لا يعني أن الإيجاز هو الطريقة المثلى في الكلام دائماً ، فقد يكون الإيجاز في موضع غير مناسب ، يفضله فيه الأطناب أو المساواة . ولو كان الإيجاز يصلح في جميع الكلام لجعل الله تعالى كلامه كله إيجازاً ، كما يقول ابن قتيبة [1].

قال أبو هلال العسكري [2] : «والقول القصد : أن الإيجاز والأطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام ، وكل نوع منه . ولكل واحد منهما موضع . فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه . فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته ، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز ، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ» .

ومن قبل قال الجاحظ [3] : «وللإطالة موضع وليس ذلك بخطل ، وللإقلال موضع وليس ذلك من عجز» .

وللخليل رأي في الغرض من الإيجاز والغرض من الإطناب . قال : «يختصر الكلام ليحفظ ، ويبسط الكلام ليفهم» [4].

وقد أصاب الخليل ، إلا أن اختصار الكلام ليس لحفظه فقط وإنما لدواع أخر ذكرناها ، إضافة إلى الحفظ .

وروى أبو هلال العسكري [5] قولاً يفصل رأي الخليل في الإطناب . قال : «المنطق بيان . والبيان لا يكون إلا بالإشباع ، والشقاء لا يقع إلا بالإقناع .

---

(1) أدب الكاتب : ص 15 .

(2) الصناعتين : ص 196 .

(3) الحيوان : 93/1 .

(4) أبو هلال العسكري : المصدر السابق : ص 198 .

(5) المصدر نفسه : ص 196 .

وأفضل الكلام أبينه ، وأبينه أشد إحاطة بالمعاني ، ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة إلا بالاستقصاء» .

وهناك مواضع لا بد من الإطناب فيها كالكتب السلطانية والمواعظ ، وفي الصلح بين العشائر ، وفي الإنشاد بين السماطين [1] وعند مدح الملوك [2] وفي الخطب الموجهة إلى الجماهير لعرض قضية ما ، وفي المرافعات المهمة في المحاكم ، وفي المحاضرات التي تلقى على جمهور ليس له اطلاع كاف عليها ، وفي تدريس الموضوعات الجديدة في مادة ما ، إلى غير ذلك .

ونحب أن نلفت النظر إلى أنه قد يدق الفصل في الحكم على كلام بين عده إيجازاً أو إطناباً ! قال الدكتور إحسان عباس [3] عن الإيجاز : إن «تحديده على نحو دقيق ربما لم يكن ممكناً . وحسبنا أن نتذكر أن عبد الحميد الكاتب كان يرى أن الإيجاز أساساً في البلاغة والترسل ، وهو المعروف بالإطالة وتشقيق الكلام» .

وقال الجاحظ [4] : «الإيجاز ليس يعني به قلة عدد الحروف واللفظ ، وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما يسع بطن طومار [5] فقد أوجز ، وكذلك الإطالة ، وإنما ينبغي أن يحذف بقدر ما لا يكون سبباً لإغلاقه [6] ولا يردد [أي : يكرر] وهو يكتفي في الإفهام بشطره ، فما فضل عن المقدار فهو الخطل».

قلنا إن لكل من الإيجاز والإطناب مواضع ، واستعمال كل منهما يحتاج إلى دقة ونباهة ، فقد يريد أحدهم الإيجاز فيأتي بالكلام المختل المبهم ، وقد يريد آخر الإطناب فيأتي بالكلام الفائض عن الحاجة ، الممل .

---

(1) سماط القوم : صفهم .

(2) أبو هلال العسكري : المصدر السابق : ص 196 ، 198 .

(3) ملامح يونانية في الأدب العربي : ص 182 .

(4) الحيوان : 91/1 .

(5) الطومار : الصحيفة .

(6) الإغلاق : عدم الوضوح .

فمن الإيجاز المعيب قول عروة بن الورد :

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا

فإنه أراد : إذ يقتلون نفوسهم في السلم .

وقول الحارث بن حلزة :

والعيش خير في ظلا ل النوك ممن عاش كداً [1]

فإنه أراد : العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل [2].

وقد يقع المطنب في أحد عيبين أو في كليهما ، هما : التطويل والحشو . «والإطناب بلاغة، والتطويل عي [3] ، لأن التطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلاً بما يقرب . والإطناب بمنزلة سلوك طريق نزه يحتوي على زيادة فائدة» [4].

ويمثل القزويني [5] للتطويل ويحدثنا ، ممثلاً ، عن الحشو .

فمثال التطويل قول عدي بن زيد :

[وقددت الأديم لراهشيه] وألقى قولها كذبا ومينا [6]

فالكذب والمين واحد .

أما الحشو ، فمنه الحشو المفسد ، والحشو غير المفسد .

أما المفسد فكقول المتنبي :

ولا فضل فيها للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لقاء شعوب [7]

وقد عقب عليه القزويني بقوله : «فإن لفظ» الندى «فيه حشو يفسد المعنى ، لأن المعنى : أنه لا فضل في الدنيا للشجاعة والصبر والندى لولا الموت . وهذا حكم صحيح في الشجاعة ، دون الندى ، لأن الشجاع لو علم أنه يخلد في

---

(1) النوك : الحمق .

(2) القزويني : الإيضاح : 177/1 .

(3) عي : جهل ، وعي في النطق : حصر .

(4) أبو هلال العسكري : الصناعتين : ص 197 .

(5) الإيضاح : 187/1 - 189 .

(6) قددت : قطعت . الأديم : الجلد . الراهشان : عرقان في باطن الذراعين .

(7) شعوب : الموت .

الدنيا لم يخش الهلاك في الإقدام ، فلم يكن لشجاعته فضل ، بخلاف الباذل ماله ، فإنه إذا علم أنه يموت هان عليه بذله ... فلو علم أنه يخلد ، ثم جاد بماله ، كان جوده أفضل ، فالشجاعة لولا الموت لم تحمد ، والندى بالضد» .

وأما غير المفسد فكقول زهير بن أبي سلمى :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم

فإن قوله : «قبله» مستغنى عنه غير مفسد .

هذا وبعد أن عرفنا بلاغة الإيجاز والإطناب تتضح لنا بلاغة المساواة ، فهي وسط بينهما ، وهي مطلوبة في موضعها كما أن الإيجاز والإطناب مطلوبان في موضعيهما . وقد مر بنا كيف أن رجلاً مدح لإحسانه المساواة فقيل عنه : «كانت ألفاظه قوالب معانيه» .

والمساواة أحد أساليب القرآن الكريم والشعراء والأدباء .